المرأة والأدب في تاريخ الثورة الجزائرية

أ . محمد يعيش*

يثار اليوم جدل كبير في جميع أنحاء العالم، خاصة منه العربي الإسلامي حول دور المرأة في المجتمع، فتعددت الرؤى واختلفت بين مغالي يرى أن دورها لا يجب أن يتعدى حدود البيت وبين مغالي آخر يرى أن إقحامها في جميع مناحي الحياة الاقتصادية السياسية والاجتماعية ضرورة لا بد منها للنهوض بالمجتمع وتلبية حاجاته .

إلا أن للتاريخ قول آخر في هذا المجال، والتاريخ كما نعلم هو حكم لا يتعاطف مع أحد فبالإضافة إلى أنه سجل تجارب الشعوب، هو أيضا من يصنفها ويقييمها فمن أحسن التصرف سجلت حسناته له، ومن أخطأ عاقبه إلى الأبد ولو تعاقبت الأجيال . والمرأة الجزائرية ممن حكم لهم التاريخ وليس عليهم، فقد نقشت أسماء الكثيرات منهن في سجل التاريخ بأحرف من ذهب، خاصة إبان الثورة التحريرية .

فثورة نوفمبر 1954 أثرت في الجوانب الاجتماعية للشعب الجزائري، إذ أزالت الفرق الموجود بين الرجل والمرأة اتجاه الواجب المقدس المتمثل في تحرير الوطن، فوجدت هذه المرأة متنفسا في ثورة نوفمبر، حيث أطلقت العنان للقوى الكامنة فيها، فالتفت حول جبهة وجيش التحرير الوطني، وقامت بأصعب المسؤوليات وأخطر العمليات . . . إذ يذكر أحد معاصري تلك الفترة في مذكراته :

(. . . الفتاة والمرأة عموما في الجزائر قدمت الزاد والوقود للثورة، في صورة مهج وأرواح وتضحيات أخرى . . . إذ لم يتورع المستعمرون عن هتك الأعراض وسبي وتعذيب . . وشاء الله تعالى أن تبرز جميلة بوحيرد رمزا صارخا لما واجهته المرأة الجزائرية في الجزائر من بشاعات التعذيب بالأجهزة الكهربائية وغيرها من ألوان وأساليب . . . تناولتها وسائل الإعلام في الغرب نفسه . كما أن التضحية بفلذات الأكباد وبشريك

* قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة .

الحياة وبالممتلكات هي أيضا شارات بطولة وفداء في رصيد المرأة العربية في الجزائر)[1] .

وهذا ما أشاد به مؤتمر الصومام (20 أوت 1956) في مقرراته :

(وإننا لنحيِّ بإعجاب وتقدير ذلك المثل الباهر الذي تضربه في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء، الزوجات والأمهات، ذلك المثل الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي يشاركن بنشاط كبير ـ وبالسلاح أحيانا ـ في الكفاح المقدس في سبيل تحرير الوطن ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمن مساهمة إيجابية فعالة في الثورات الكثيرة التي توالت وتجددت في بلاد الجزائر منذ سنة 1830 ضد الاحتلال الفرنسي . . . والمرأة الجزائرية اليوم موقنة أن الثورة الحاضرة ستنتهي لا محالة بالحصول على الاستقلال)[2] .

كما يؤكد على أنها مازالت توكل لها مهام جبارة في العمل الثوري إلى جانب الرجل، ونقف على ذلك من خلال توصيات مؤتمر الصومام، والذي جاء فيه بخصوص الحركة النسائية ما يلي :

(الحركة النسائية ومهمتها إذكاء روح الحماس في صفوف الجيش وأعمال الاتصال والمخابرات وتهيئة الملاجئ وإسعاف عائلات الشهداء والمعتقلين . . .)[3] .

إن تطور الأحداث السياسية في بداية الخمسينيات والتي توجت باندلاع الثورة المظفرة دفع المرأة الجزائرية إلى أن ترفض البقاء معزولة عما يجري من أحداث بل وأصرت على المشاركة فيها بشكل واضح ومباشر وأن تسجل وجودها عمليا في ثورة نوفمبر 1954م فكان عليها أن تضطلع بواجبها في العمل الثوري بجانب الرجل، وأن تتحمل كأم وزوجة وأخت القسط الأكبر من مشاق وأتعاب وتضحيات سواء في الحفاظ على تماسك الأسرة والقيام بشؤون البيت، أو القيام برعاية ضحايا الحرب

(1) الهادي إبراهيم المشيرقي : قصتي مع ثورة المليون شهيد ، (مذكرات) ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر : 2000م ، ص 392 .

(2) أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر : 1981 ، ص 260 .

(3) عبد الحميد مهري ، الجانب الإنشائي من الثورة الجزائرية ، مجلة الآداب ، العدد : 06 ، بيروت ، جوان 1957م ، ص 20 .

وإنجاز الأعمال الثورية[1] .

وانطلاقا من إيمانها الراسخ بدورها الفعال في كل الجبهات، أدركت المرأة مسؤوليتها تجاه دينها ووطنها، فنهضت وقامت بجانب الرجل داخل صفوف الثورة المسلحة بإيمان وإرادة صلبة تعزز صفوف المجاهدين والمجاهدات وتكافح في الريف والمدينة . . .[2]

فالثورة التحريرية قد تجاوزت النظرة المطالبية لتحرير المرأة والرجل ككل، بل أعطت المرأة دورا ووظيفة فعالة . فكلفت بأعمال تتجاوز طبيعتها البيولوجية، فقد مارست أعمالا كثيرة في صفوف جيش التحرير بعدما تكون قد تدربت على استعمال السلاح، وعلى علاج المرضى والجرحى، وتهتم أيضا بشؤون الإدارة كمساعدة كاتب القيادة، وتشتغل بالكتابة على الآلة الراقنة لإعداد المنشورات والأوراق والدعايات، وإيصال الاشتراكات أو كتابة التقارير والقوانين العسكرية، وتلقي المجاهدة المثقفة دروسا للتوعية السياسية .

أما الفدائية في المدن فإنها تنفذ عملياتها وسط السكان بدون أن ترتدي الزى العسكري، والملاحظ هنا أن المكلفات بهذه العمليات كن يتصفن بالشجاعة الفائقة وطول النفس والصبر المنقطع النظير، حيث تضعن القنابل في المقاهي ومراكز تجمع العدو في المدن، وفي وضح النهار . ويلقى القبض على هذا النوع من النساء المجاهدات، ويبذل المستعمر قصارى جهده لتشويه أجسادهن وانتهاك أعراضهن، من أجل الحصول على معلومات منهن، وبعد أن ييأس في ذلك يحكم على بعضهن بالإعدام والبعض الآخر بالسجن .

في حين تقوم المرأة المسبلة بأعمال عديدة كالاتصال بين الشعب والفدائيين من جهة وقيادات الثورة من جهة ثانية، كما تعمل على حراسة المجاهدين وتأمين ملاذهم ونقاط عبورهم، ويظهر هذا الدور بفعالية قصوى عندما لجأت فرنسا إلى خطة تجميع السكان في المحتشدات بهدف

(1) خضراء بلامي ، المرأة و الثورة ، صفحات من التضحية و المعاناة ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 148 ، الجزائر 1996م ص 23 .

(2) عبد الحميد خالدي ، وقفات في جهاد المرأة الجزائرية ، مجلة سلسلة الملتقيات ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م ، عدد خاص : كفاح المرأة الجزائرية ، الجزائر 1998م ، ص 136 .

عزل الثورة عن الشعب، حيث تصدت قيادة الثورة لذلك بتجنيد النساء لهذه المهمة، فاستطاعت أن تربط الاتصال بجيش التحرير، إذ تذكر المجاهدة : مزياني مداني لويزة : (. . . ومنهن من تعمل في جهاز الاتصال بين العاصمة والجبل بين المجاهدين وأهلهم أو أصحابهم في النضال فكانت الرسائل تروح وتجيء في سرية وبطرق غير مشكوكة إلا نادرا كما وقع لنا ببيتنا ولي على الخصوص) .

و تواصل المجاهدة سرد الأحداث التي تدور حول عملية مداهمة لبيتهم، بعد إلقاء القبض على إحدى المسبلات، التي جاءتهم برسائل من الجبل وأخذت منهم رسائل أخرى إلى الجبل[1] .

كما أن النساء اللواتي يستخدمهن الجيش الفرنسي لغسل ملابس الجنود كانت تستولي على كثير من الملابس، وترسل بها لجيش التحرير، وتهرب المئونة والذخيرة باستمرار، إضافة إلى تدبير هروب الشبان وانضمامهم لصفوف جيش التحرير[2] .

كما ساهمت بكل جوارحها ومشاعرها، خاصة عندما تودع زوجها وفلذات أكبادها إلى ساحة الفداء من أجل القضية الوطنية المقدسة، كما تستقبلهم بالزغاريد والدموع عند استشهادهم، وفي كل ذلك نجدها تتحلى بالجلد والشجاعة، بل تتحمل ما ينجر عنه من عمليات الانتقام عندما يعلم الاستعمار بأن هذا البيت قد خرج منه مجاهدون، وهذه زوجة أو بنت أو أخت أو أم . . . فسوف يصب عليها كل أنواع الانتقام من تعذيب واستنطاق ونيل من الشرف . وتذكر المجاهدة مزياني مداني لويزة في هذا الصدد :

(. . . وها أنا ذي أعيش هذه التجربة في بيتنا هذه الأيام في شهر جوان 1958 وبالذات في 15 منه ونحن نستعد لوداع أخي عمر وهو الأخ الرابع الذي يغادر البيت إلى الجبل . . إلى ساحة الفداء . . بعد خروجه من السجن منذ أسبوع في 1958/06/08 وبعد أن قضى فيه مدة عامين كاملين، فيا لها من ليلة قضيناها نعد فيها الساعات، وصباح نحصي فيه اللحظات . . . وقد انتهت ووقفنا نودع آخر الإخوة إلى ميدان القتال ضد

(1) مزياني مداني لويزة ، مذكرات إمرأة عاشت الثورة ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1992م ، ص 68 .

(2) زغيدي محمد لحسن ، مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 56_62 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1989 ، ص 182 .

المستعمر . . . كانت لحظات حاسمة . . . تطغى فيها العاطفة . . . وتنتصر فيها التضحية، والإيمان بالواجب الوطني . . . كيف لا ؟ !! والأم صابرة صامدة . . أم أربعة مجاهدين صناديد . . . تتحمل هذا الموقف بشجاعة بالغة . . . وتتغلب على مشاعر الأمومة بجلد وتحدي . . . ولم تدمع عيناها إلا حينما قبلها هذا الابن مودعا وهو يقول كوني صبورة يا أماه . . .)[1] .

و من ضمن الإصدارات الأدبية التي عالجت هذا الموضوع في وقته أي أثناء الثورة التحريرية، قصة لأحد الجزائريين يعبر من خلالها عن مساهمة المرأة الجزائرية في حرب التحرير، خاصة لما انتقلت الثورة من الجبال إلى المدن، أين ظهر الدور الكبير للفدائيين والمسبلين، والذين كان من بينهم المرأة الجزائرية . حيث يبدأ قصته بتقديم الشكر والثناء لهؤلاء النساء قائلا :

(إلى تلك التي وقفت إلى جانب الرجل لتدافع عن حياض الوطن، إلى جميلة وأمثال جميلة بوحيرد من النساء العربيات، أهدي هذه القصة .) .

ثم ينتقل إلى سرد وقائع القصة التي تدور حول شابة جزائرية في العشرين، فضلت الدخول إلى صفوف جيش التحرير بدل مواصلة الدراسة، وذلك بعد الظروف المضطربة التي أصبحت تعيشها مدن الجزائر نتيجة التصعيد الثوري فيذكر :

(. . . ولكن البارود ورائحة الحريق قد انتشرت اليوم في كل مكان . يستطيع السواح الأجانب إذا أتيح لهم أن يزوروا وطني في هذه الظروف، أن يتحدثوا عن الجثث التي تتساقط في الشوارع من غير أن تجد من يدفنها . . . ويستطيعوا أن يشاهدوا هجوم المظليين على حينا، حي القصبة، بأمر الجنرال « ماسو » . ورغم هذه الظروف، فينبغي لي أن أفكر في أمر مستقبلي كسائر اللواتي بلغن سن العشرين . . . كيف يمكن لي أن أتقدم إلى فحص الجامعة في هذه الظروف المضطربة ؟ كيف يمكن التفكير في مواصلة الدراسة ؟ وأنا لا أمن على نفسي أن يعتدي علي المظليون في طريقي إلى الجامعة ؟ كيف يلذ لي أن أجلس على كرسي الدراسة، وأنا

(1) مزياني مداني لويزة ، م ، ن : ص 101_102 .

أعلم أن بعض زميلاتي، ولا أتحدث عن الزملاء، قد هجرن مقاعد الدراسة، والتحقن بجيش التحرير ؟) .

ثم ينتقل لاستعراض طرق أخرى لنضال الجزائريات في الجامعات والمدارس، إذ لبين نداء الثورة بهجر مقاعد الدراسة، والقيام بالمظاهرات والمسيرات دعما للثورة في المدن فيقول : (. . . فقد قرر الاتحاد العام للطلبة الجزائريين الإضراب عن الدراسة إلى أجل غير مسمى . . . وقرأنا بيان الاتحاد العام، وسرى الحماس بيننا، وفي مدى ربع ساعة وصل الخبر إلى كل مكان، وكانت المناشير تتناقلها أيدي زميلاتنا الفرنسيات في شيء من الدهشة والاستغراب وغير قليل من الوجوم، أما نحن فقد كنا ندخل غرف الإدارة، وقاعات المحاضرات، وكنا نلصق البيان على الجدران . ورن الجرس مؤذنا ببداية الدرس . تزاحم الطلبة الفرنسيون على القاعات . أما نحن فقد سلكنا طريقا آخر، فخرجنا في مظاهرة عبر الشوارع، نعبر ذاك الصباح عن مشاعرنا بالهتافات والأناشيد .)[1] .

وفي سنة 1958م نجد الصحافة العربية قد غصت بالقصائد التي تخص موضوع رموز الثورة الجزائرية، وكان محور هذه الموضوعات حادثة إلقاء القبض على المجاهدة « جميلة بوحيرد» حيث سال بشأنها حبرا كثيرا، وقيل فيها أكثر من ثماني قصائد من مختلف ربوع الوطن العربي، وضع لبعضها تقديما مختصرا مؤثرا حيث جاء في إحداها

(عندما تلي حكم الإعدام على المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد أغرقت في الضحك . . فانفجر رئيس المحكمة صارخا « لا تضحكي! فالأمر خطير . . .)[2] وفي أخرى كتبت إحدى المجلات :

(كتبت هذه القصيدة مساء الخميس 07 مارس 1958م . . وكان قد حدد يوم الجمعة التالي لإعدام المجاهدة الجزائرية جميلة . . ولقد انتصرت الإنسانية على هذا اليوم فانتصرت بذلك على أحد أيام الجمع الحزينة التي تنتظرها في الطريق إلى حياة أفضل)[3] .

وفي تقديم قصيدة أخرى :

(1) حنفي بن عيسى ، في حي القصبة ، مجلة الآداب ، العدد 02 ، بيروت ، فيفري 1959م ، ص 31 .

(2) حسن البياتي : « ضحكة جميلة» ، مجلة الآداب ، العدد : 05 ، بيروت ، لبنان : ماي 1958م ، ص 23 .

(3) نجيب سرور : « الجمعة الحزينة» ، مجلة الآداب ، العدد : 04 ، بيروت ، لبنان : آفريل 1958م ، ص 09 .

(إلى البطلة العربية جميلة بوحيرد التي كانت تنتظر الموت على أيدي الفرنسيين . . . رسل الحضارة الأوروبية . . .)[1] .

وفي تقديم قصيدة أخرى كتب التقديم التالي :

(في صباح أول يوم من العام الجديد ستشرق أول ذرة مشمسة دون أن تلامس عيون جميلة . . .)[2] .

ومن تلك القصائد أورد في هذا المقام واحدة في نظري هي الأكثر تعبيرا والأصغر حجما .

الاسم جميلة بو حيرد الاسم جميلة بو حيرد
رقم الزنزانة تسعونا اسم مكتوب باللهب
في السجن الحربي بوهران . . مغموس في جرح السحب
والعمر اثنان وعشرون في أدب بلادي . . في أدبي
عينان كقنديلي معبد العمر اثنان وعشرونا
والشعر العربي الأسود في الصدر استوطن زوج حمام
كالصيف . . كشلال الأحزان والثغر الراقد غصن سلام
إبريق للماء . . وسجان امرأة من قسنطينة
ويد تنضم عل القرآن لم تعرف شفتاها الزينة
وامرأة في ضوء الصبح لم تدخل حجرتها الأحلام
تسترجع في مثل البوح لم تلعب أبدا كالأطفال
آيات محزنة الإرنان لم تغرم في عقد أو شال
من سورة « مريم » و« الفتح » لم تعرف كنساء فرنسا
أقبية اللذة في « بيغال »
أكلت من نهديها الأغلال
أكل الاندال
من جيش فرنسا المغلوبة
القيد يعض اليدين
وسجائر تطفأ في النهدين
ودم في الأنف وفي الشفتين
وجراح جميلة بو حيرد

(1) شفيق الكمالي : « جميلة » ، مجلة الآداب ، العدد : 05 ، بيروت ، لبنان : ماي 1958م ، ص 07 .
(2) صادق الصائغ : « غنوة وداد لجميلة بوحيرد » ، مجلة الآداب ، العدد : 01 ، بيروت ، لبنان : جانفي 1959م ، ص 19

هي والتحرير على موعد
مقصلة تنصب والأشرار
يلهون بأنثى دون أزار . . .[1]

وما يمكن الإشارة إليه هنا، هو المتابعة الدقيقة لقضية « جميلة بوحيرد « من قبل الشعراء العرب، إذ أن تناولهم للموضوع ليس بالسطحية التي من الممكن أن تكون لدى شاعر قد يقول أبياتا في قضية ما بعيدة عنه أو حتى لم يعشها، وإنما هنا ذكر هؤلاء الشعراء حتى التفاصيل الدقيقة أثناء التعذيب، وحتى وصف جميلة في حد ذاتها، بالرغم من بعد المسافات وعدم مقابلة جميلة شخصيا، إنما تعاطفهم بل تبنيهم لقضيتها على أساس أنها جزء منهم جعلهم يبدعون في وصفها وتصويرها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثر هؤلاء الشعراء ومن ثمة العرب ككل بقضايا الثورة الجزائرية وبرموزها المجاهدين والشهداء .

وقد تحدثت الصحافة العربية كثيرا عن هذا الموضوع، ففي باب مناقشات تتحدث إحدى المجلات عن ديوان شعري صدر عن البطلة الجزائرية، جميلة بوحيرد، هذا الاسم الذي سجل في التاريخ[2] .

---

(1) نزار قباني : « جميلة بوحيرد» ، مجلة الآداب ، العدد : 04 ، بيروت ، لبنان : 1958م ص 01

(2) و على حسب عثمان سعدي في كتابه : الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ص 240 . يذكر : (توجد ثلاث جميلات بتاريخ الثورة الجزائرية هن :

جميلة بوحيرد : من مواليد 1935م بمدينة الجزائر حي القصبة ، انخرطت بالثورة في بداية 1956م و هي تلميذة . عملت بالمجموعات المسلحة ، قامت بنقل الأسلحة ، و وضع القنابل بأماكن يرتادها غلاة المستعمرين . اعتقلت في 1957/04/09م بعد إطلاق النار عليها في شوارع العاصمة ، إثر مطاردة لها من طرف رجال الجيش الفرنسي . سامها المظليون الفرنسيون أشد أنواع العذاب وحشية . نشر عنها كتاب عنوانه « جميلة بوحيرد» محاميها الأستاذ فيرجيس بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جورج ارنو . انتشرت قضيتها بالعالم و من خلالها قضية نضال المرأة الجزائرية . أولى الجميلات الثلاث التي تردد أسمها بالعالم و خاصة بأقطار الوطن العربي . أطلق سراحها مع وقف القتال . أم لطفلين « 1982م» .

جميلة بوباشا : من مواليد 1938م بمدينة الجزائر . انضمت للثورة عام 1955م و هي تلميذة . كان دورها نقل الأدوية و الوثائق للثوار ، و إيواء المناضلين المطاردين . اعتقلت بالعاصمة في : 1960/09/09م سيمت سائر أنواع التعذيب التي يمكن أن تسلط على إنسانة ، بقيت رهينة السجن إلى أن أطلق سراحها مع وقف القتال . ألفت عنها الكاتبتان الفرنسيتان « سيمون دي بوفوار ، و جيزيل حليمي» محاميتها ، كتابا عنوانه : « جميلة بوباشا» هي الآن « 1982م» عضو بالمجلس التنفيذي لمنظمة المجاهدين . أم لثلاثة أطفال .

جميلة بوعزة : من مواليد العفرون بالبليدة عام 1937م انخرطت بالثورة عام 1956م و هي طالبة بالثانوية . عملت بالمجموعات المسلحة بالعاصمة . وضعت عدة قنابل في أماكن يرتادها غلاة المستعمرين ، أهمها القنبلة التي انفجرت في حفل راقص (بالكوكاردي) فقتلت أكثر من 20

حيث يذكر صاحب المقال في مقدمة مقاله، تعريف بقضية جميلة ومعاناتها مع الاستعمار، جاء فيها :

(. . . والموضوع هو مأساة « جميلة بوحيرد » الجزائرية المناضلة التي حكم عليها الاستعمار بالموت، وراحوا يسقونها كؤوس العذاب منوعة قاسية، وحاولوا معها كافة المحاولات الشريفة منها وغير الشريفة لكي يحصلوا على نصر، ولكنهم فشلوا . . .)[1] .

أما إذا جئنا إلى الحديث عن القصائد التي تعرضت لدور المرأة في الثورة التحريرية الجزائرية، من خلال ما نشرته الصحافة آنذاك، فهي كثيرة وارتبطت في الغالب بأحداث معينة كقضية جميلة السابقة الذكر . وفي هذا المقام نورد نموذجا عن تلك القصائد التي نشرتها المجلة وصورت من خلالها معاناة المرأة الجزائرية ومساهمتها في الثورة، وكيف أنها كانت مستهدفة من طرف الهمجية الاستعمارية .

حيث يبدأ الشاعر في هذه القصيدة بالتعريف بقضية الجزائر قائلا :

(في بلادي . . .
في بقاع سميت « أرض الجزائر »
حيث للتاريخ محراب . . . وللفكر منابر .
تنسج الأقدار فيها، قصة لحمتها نار المنون
و سداها الثائرون .)

ثم ينتقل إلى تصوير مشهد من المعاناة اليومية للمرأة، حيث أن جنديان التقيا في الطريق بامرأة جزائرية حبلى، فأوقفاها وتراهنا على ما ببطنها، ذكر أم أنثى، وتم شق بطنها واستخراج الجنين، ثم تركت وإياه طريحة للطيور والذئاب، ومن جملة ما جاء في القصيدة في هذا الصدد : (وعلى مرأى البشر،

في بلادي . . حيث تاريخ الملاحم
نقل الناس حكاية . . .

فرنسيا و جرحت 89 وذلك سنة 1957م . رسمت صورتها أجهزة المخابرات الفرنسية من وصف مشاهديها ، و تتبعتها إلى أن تم اعتقالها في آ فريل 1957م . سامها رجال المظلات الفرنسيون سائر أنواع التعذيب و أبشعها و أكثر وحشية و همجية ، وتنقلت بين عدة سجون ، آخرها سجن « نيور » بفرنسا . وأطلق سراحها مع وقف القتال عام 1962م ، عندما كانت الصحف العربية و العالمية تنشر عن جميلة بالخمسينيات ، كانت تضع أحيانا صورة جميلة بوحيرد وأحيانا أخرى صورتها ، هي الآن « 1982م» أم لثلاثة أطفال).

(1) علي شلش ، جميلة ، (شعر) مجلة الآداب ، العدد 05 ، بيروت ، ماي 1958م ، ص 55 .

هي : جنديان من جند الدخيل
غشيا أرض المدينة،
وإذا في الدرب حبلى لمحاها أوقفاها . . .
وانبرى الأول يحكي : هل تراهن ؟ !
يا رفيقي . . لو بقرنا بطنها
هل نرى « أنثى » إذا بقرنا بطنها
أم نرى فيه « عدوا » ذكرا
يا رفيقي ! . . . لو ترى . . .
فأجاب الأسود الرعديد . . هيا !
وانتزع أحشاءها شيئا فشيئا . .
ولتكن « عشر فرنكات » رهانا . . للمجلي
. . . وانتضى الآخر من أوسطه
« حربة » مسمومة ذات شفار
ثم شق البطن . . مزهوا . . فقد حاز انتصار
تاركا للطير أما، وجنينا، ونثار .)[1] .

أما في طابع النثر فقد عثرنا على الكثير من الأعمال الأدبية التي تنوعت بين القصة والرواية والمسرحية، منها هذه التمثيلية التي تصور وقائعها عملية مداهمة، لقرية جزائرية بنواحي بجاية على إثر عمليات ثورية للمجاهدين، فلم تجد إلا النساء والأطفال، فقام الجنود الفرنسيين بتجميعهم كالعادة والبدء باستنطاقهم . وكان أبطال التمثيلية نساء جزائريات خرج أزوجهن إلى الجبل مع المجاهدين .

ومن طبيعة الحوار في هذه التمثيلية نقف على صور حية صادقة عن الأساليب التي كانت تعامل بها فرنسا نساء المجاهدين، وفي المقابل مدى تفاعل المرأة الجزائرية مع كل تلك الأحداث خدمة للقضية المقدسة، فتفضل المخاطرة بنفسها بدل الخيانة للثورة حيث نذكر على سبيل الدلالة على ذلك هذا المقطع من التمثيلية :

(. . . قولي أين ذهب زوجك أو أخوك أو عمك ؟ أين ذهبوا ؟ قولي ألا تعرفين عنهم شيئا ؟ تكلمي . « لا تجيب » خذي « يصفعها »

(1) محمد شمس الدين ، أنشودة للجزائر ، مجلة الآداب ، العدد : 07 ، بيروت جويلية 1956م ، ص 25 .

ستجيبين رغما عنك . « تنظر إليه بعينين تقدحان شررا » لا تنظري إلي هكذا يا بغي . إن عينيك تثيران ذعري . « للجندي » ريمون! أغلق هاتين العينين . إنهما شعلة تحرق أعصابي . . . « يمسكها الجندي ويفقأ عينيها . يغرق وجهها في الدماء » . . .)[1] .

و أحيانا أخرى تستفز بتهديدها بالتعرض لصغارها فتأبى أن تخون وطنها وزوجها وأخاها . . . إذ جاء في مشهد آخر من التمثيلية في استنطاق لامرأة أخرى :

(. . . والآن ألا تعترفن ؟ « يتناول الصبي الآخر . يخاطب أمه » أنت أيتها البشعاء المترهلة . تحدثي أين يختبئ زوجك ؟ تحدثي وإلا سوف أذبح صغيرك فوق فخذيك . « يخرج المدية ويضعها فوق عنق الصغير »)[2].

وما يمكن أن نخلص إليه في ختام هذا البحث المتواضع عن المرأة الجزائرية، ودورها في ثورة التحرير، هو أن المرأة متواجدة لا في الثامن مارس من كل سنة فحسب بل في كل أيام السنة وهي على أهبة الاستعداد للقيام بواجبها وقت السلم والمحن على حد السواء، وما المرأة الجزائرية في هذا المجال إلا نموذجا صادقا للمرأة العربية من المحيط إلى الخليج، وقد ثبت ذلك في ليبيا ومصر ويثبت اليوم في كل من فلسطين ولبنان وسوريا والعراق . فالقضية تتعدى الاحتفال بيوم معين وتحديد حقوق فئة معينة هي المرأة أو منافستها للرجل، إنما القضية قضية وطن، شرف، كرامة، حرية . . . معاني تذوب معها الفوارق الخلقية بين الرجل والمرأة، ويتلاشى فيها الإحساس بالأنوثة، إلى تبني خشونة الرجال وشجاعة الأبطال . تلك هي المرأة العربية .

(1) أبو العيد دودو ، عذابات ، مجلة الآداب ، العدد 11 ، بيروت ، نوفمبر 1957م ، ص 43 .
(2) م ، ن : ص 44 .

قائمة المصادر والمراجع

/1 أبو العيد دودو ، عذابات ، مجلة الآداب ، العدد 11 ، بيروت ، نوفمبر 1957م .
/2 أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر : 1981 .
/3 حسن البياتي : « ضحكة جميلة » ، مجلة الآداب ، العدد : 05 ، بيروت ، لبنان : ماي 1958م .
/4 حنفي بن عيسى ، في حي القصبة ، مجلة الآداب ، العدد 02 ، بيروت ، فيفري 1959م .
/5 خضراء بلامي ، المرأة و الثورة ، صفحات من التضحية و المعاناة ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 148 ، الجزائر 1996م.
/6 زغيدي محمد لحسن ، مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 56ـ62 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1989 .
/7 شفيق الكمالي : « جميلة » ، مجلة الآداب ، العدد : 05 ، بيروت ، لبنان : ماي 1958م .
/8 صادق الصائغ : « غنوة وداد لجميلة بوحيرد » ، مجلة الآداب ، العدد : 01 ، بيروت ، لبنان : جانفي 1959م .
/9 عبد الحميد خالدي ، وقفات في جهاد المرأة الجزائرية ، مجلة سلسلة الملتقيات ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م ، عدد خاص : كفاح المرأة الجزائرية ، الجزائر 1998م .
/10 عبد الحميد مهري ، الجانب الإنشائي من الثورة الجزائرية ، مجلة الآداب ، العدد : 06 ، بيروت ، جوان 1957م .
/11 عثمان سعدي: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي
/12 علي شلش ، جميلة ، (شعر) مجلة الآداب ، العدد 05 ، بيروت ، ماي 1958م .
/13 محمد شمس الدين ، أنشودة للجزائر ، مجلة الآداب ، العدد : 07 ، بيروت جويلية 1956م .
/14 مزياني مداني لويزة ، مذكرات إمرأة عاشت الثورة ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1992م .
/15 نجيب سرور : « الجمعة الحزينة » ، مجلة الآداب ، العدد : 04 ، بيروت ، لبنان : آفريل 1958م .
/16 نزار قباني : « جميلة بوحيرد » ، مجلة الآداب ، العدد : 04 ، بيروت ، لبنان : 1958م .
/17 الهادي إبراهيم المشيرقي : قصتي مع ثورة المليون شهيد ، (مذكرات) ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر : 2000م ، ص 392 .